## خصـــــــــائص الشعر الجاهلي :

١.**الواقعية والوضوح** : لعل ابرز هذه الواقعية أن الشعر الجاهلي استمد مادته من الحياة ، فصور البيئة أصدق تصوير، وهو تصوير واضح جلي لا خفاء فيه ، بسيط لا غلة فيه ، بعيد عن المبالغة والتعقيد ، فمعاني الشعر واضحة بسيطة تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة المجتمع لبدوي،ولا شك أن البساطة ولوضوح أثران من آثار البيئة وصفاء الذهن واعتدال مزاج ، وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق ، فلا غموض لا نفلسف ، ولا أريد هنا بالبساطة السذاجة والبدائية ــ كما قد يُظن ــ فالشعر الجاهلي من حيث معانية وأخليته ولغته ، يدل على رقي عقلي وصفاء ذهني وعناية فنية ومهارة في صناعة الشعر وصياغة معانية وصوره ، والبساطة لا تناقض إجالة النظر وصقل الفكرة وشحذ الذهن وغير ذلك من الوسائل التي يجود بها الشعر ، وليس الفن كله معقداً مركب ، بل منه البسيط الواضح الذي يلائم الفطرة والطبيعة الصحراوية ، ومنه المركّب المعقد المغرق في الخيال الذي هو نتاج الحضارة والمدنية ، والبيئة البدوية مكشوفة مضيئة ، فضاؤها رحب يمتد فيه البصر ، والشمس ساطعة وحياة الشعراء سهلة بسيطة ، فلم تكن - لأجل ذلك - تراود خيالهم الغاز معمية أو هواجس خفية ، فكان من الطبيعي أن يستمد الشعراء صورهم وأخيلتهم من الواقع الواضح ، لأنهم لا يتخيلون من وراء حجاب ، فجاءت معانيهم واضحة بسيطة لأنها عالجت حياة بسيطة واضحة بعيدة عن الحضارة ــ إلا قليلاً ــ وما يتبع الحضارة من أدب يميل الى الإغراب والمبالغة.

**ومن مظاهر هــذه الواقعية :**

١.الصدق في التعبير وفي نقل الصور والمشاهد نقلاً يكاد يكون أميناً ، وبخاصة حين يــذكرون المواضع ويناجون الديار ، وحين يفخرون أو يرثون فلا يبالغون في الخيال ولا يسرفون في التصور ، وذلك لأنهم يتحدثون عن أحوال رأوها وتجارب مارسوها و**ذ**كريات أحسوا بها .

٢.ويتمثل الصدق في انفعالات الشعراء وعواطفهم وفي تسجيل الوقائع **والـ**ذكريات وتصوير النصر بصورته الحقيقية ، من غير غلو ولا مبالغة ، والإقرار بالهزيمة والنكوص إن دارت الدائرة على قومهم . وليس أصدق إقراراً بقوة الخصم ، واعترافاً بالفرار من قول الحارث بن وعلة الجرمي في يوم الكلاب الثاني بين جرم وتميم :

فدىً لكما رجلَيّ أمي وخالتي ... غداة الكلاب إذ تحز الدوابرُ
نجوتٌ نجاءً لم يرَالناس مثله ... كأني عقابٌ عند تيمن كاسرُ

وإذا كان هذا يعني صدق الوقائع ، فأن هناك ضرباً أخر من الصدق يتمثل في التعبير عند الصور المنتزعة من البيئة ونقلها بصدق كما شهدها الشاعر وألفها من ذلك قول لبيد واصفاً حاله بعد موت أعمامه وأبنائهم :

أصبحتُ أمشي بعدَ سلمى بن مالكٍ ... وبعد أبي قيسٍ وعروة كالأجـــــب
يضــجّ **اذا** ظِل الغراب دنا لـــــه ... حذاراً على باقي السناسن والعصبْ

فهو يعرض مشهداً رآه وتأثر به ، مشهد الجمل الذي قطع سنامه أيام القحط والجدب ، فهو يرتعد خوفاً وألماً كلما أحس بغراب يدنو منه أو يتوهم دنوه ، لما يفعله من النقر ببقايا سنامه وأعصابه وفقار ظهره ، فهذه صورة مؤثرة ، لأنها صادقة انتزعها من الواقع المشاهد ، وقد استطاع الشاعر في هذين البيتين أن يحقق الصدق الفني والصدق الواقعي على السواء .غير أنه شذّت بعض الأبيات ــ وهي قليلة معدودة ــ وقف عليها القدماء وأنكروا ما فيها من مبالغة ومجاوزة المعقول ، حتى أنهم وصفوا قائلها بالكذب ، من ذلك قول المهلهل بن ربيعة :

فلولا الريحُ أسمع أهلَ حَجْرٍ ..... صليلُ البيضِ تقرعُ بالذكورِ

والأمر الأخر الذي هو مظهر من مظاهر الواقعية ، هو الإيجاز.
ولاشك أن طبيعة الحياة الجاهلية وما فيها من نقله سريعة وحركة دانية غير مستقرة ولا تروية ،ومناخ الصحراء القاسي الشديد في حره وقره ، كل ذلك جعلهم لا يُطيلون ولا يتأملون يقفون عند وقفة وسرعان مايتركونه الى غيره ، أما الوقوف الطويل والتفصيل وتشقيق المعنى على وجوه ، كل ذلك لا يلائم طبيعة حياتهم ومزاجهم وعقليتهم .
ولعل أقرب صور الإيجاز تتمثل في التشبيه إذ يقرب المعاني البعيدة ، ويركزها في صورة قريبة محسوسة ، ولذلك كان التشبيه في الشعر الجاهلي أكثر الوسائل البيانية انتشاراً ، أما الاستعارة فعمل مركب فيه تعقيد فهي قليلة وأكثر منها الكناية ، والكناية فيها تقصير العبارة وإيجازها. فهي تحمل المعاني الواسعة المتخيلة في عبارات قليلة فيها طرافة وجمال .
والمظهر الأخر من مظاهر الواقعية ، أن صور الشعر الجاهلي صور حسية فيها تجسيم وتشخيص وهذا أمر طبيعي لان صور الشاعر مستمدة من بيئته ومرتبطة بالبادية ، واذا قلنا أن الصور مادية كل الصور وكل المعاني ــ فلا نعدم أن نجد عناية بوصف الأحوال النفسية ـ بل أن صورهم في جملتها على هذه الشاكلة. وهذه الظاهرة الحسية لا تفارق الصورة حتى في تعبيرها عن أمور معنوية غير ملموسة ، كالحلم والكرم والوفاء والشرف ، فالشاعر الجاهلي يميل الى تصوير المعنويات والتعبير عنها مجسمة في ماديات محسوسة ، أو متعلقة بأشخاص بأعيانهم ، يتحدث لبيد عن حِلم قومه فيقول :

ولهم حلومٌ كالجبال وسادةٌ ..... نَجُبٌ وفرعٌ ماجدٌ وأرومُ

فقد أخبر عن سعة حلمهم بصورة مادية ، وهي صورة الجبال بشموخها وثباتها وخلودها ويقرن طرفة بين ظلم قومه وبين وقع السيف فيقول :

وظلمُ ذوي القربى أشد مفاضةً ..... على المرء من وقع الحسام المهندِ

وهذه النزعة في تجسيم المعاني وتشخيصها والتعبير عنها بصور مادية حسية ، كان لها جرائرها على الشعر الجاهلي ولها فوائدها أيضاً ، فمن جزائها أنها حددت الخيال والتصور ، وربطت الذهن بمشخصات مادية ، فلم تُتح للشاعر أن ينطلق في تصوير المعنويات ، كالحب والوفاء والسماحة والمروءة وغيرها ، تصويراً شاملاً عاماً ، بحيث يعالج الفكرة نفسها غير مرتبطة بمشخصات أو صور في بيئة محددة ، ولم تُتح للشاعر أيضاً أن يتعمق في وصف الخواطر والأفكار أو يحلل العواطف والاحساسات ،ومن هنا جاء وصفهم للمرأة وصفاً حسياً جسدياً ، فلم يتغلغلوا في أغوار النفس ويتعرفوا على خفاياها ولم يصفوا عواطف المرأة المحبوبة وأشواقها ــ إلا نادراً ــ بل وصفوها وصفاً خارجياً ، كما هو واضح في تصوير امرئ القيس لمحبوبته في معلقته :

مهفهفة بيضاء غير مفاضةٍ ..... ترائبها مصقولة كالسجنجلِ

إلى أخر الأبيات.
ومن عيوب هذه النزعة المادية الحسية ، فأنها جعلت الصور تتكرر، لأن الظواهر الحسية متعلقة بالصحراء . ومشاهد الصحراء محدودة متشابهة ، أما فوائد هذه النزعة المادية الحسية ، فانها جعلت الشاعر يدقق في موضوعاته ويفصل في أوصافها ويولد في معانيها فيصب المعنى الواحد في صور مختلفة ونماذج جديدة ، إمعاناً منه في الإيضاح وزيادة في استقصاء جوانب الموصوف واستيفاء أجزائه.